النسق المضمر في شعر الأخضر بركة

عميري نورة
جامعة باتنة 1 الحاج لخضر
amiri_issra@yahoo.fr

تاريخ الارسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2019-04-01	2019-07-12	2019-12-01

ملخص :

يعمل النقد الثقافي على تمحيص المخزون الأدبي بربطه بجملة السياقات المحيطة به، والحفر في تقصي الثقافة التي ينتمي إليها، مع محاولة استجلاء المضامين الكامنة والمضمرة في النصوص. والعمل الأدبي بمختلف أجناسه يجسد رؤى فكرية ثقافية مصاحبة للحس الإنساني بلغة واعية، يختارها الكاتب لينسج من خلالها مرجعيته الثقافية المجسدة في الخطاب اللغوي والجمالي، والذي يضمر في باطنه أنساقًا ثقافية تحمل مدلولات مختلفة، فيترك المجال للناقد للتأويل بواسطة آلياته الإجرائية. والشاعر الأخضر بركة تتميز نصوصه الشعرية بمحمولات نسقية ثقافية، تسعى هذه الدراسة للكشف عن معانيها في ضوء القراءة الثقافية.

الكلمات المفتاحية: النسق المضمر، الشعر، الثقافة، العنوان، المكان.

توطئة:

يعد النسق المضمر من بين الأولويات الأساسية التي تندرج ضمن النقد الثقافي لاستنطاق وقراءة النصوص الأدبية، التي تستتر في لاوعي الشاعر عبر لغته الرمزية، التي تحمل في مضامينها أنساقًا ثقافية مختلفة، فالشاعر يسعى لأن يبرز أنساقًا ظاهرة تختبئ وراءها أخرى مضمرة متشكلة في البناء اللغوي.

ولذلك، نجد أن النقد الثقافي يتضمن مجموعة هذه الأنساق المختلفة التي تجتمع في بنية النص، لتقوم على تكثيف معانيه، وهذا من خلال النسيج المتشابك بين التوافق والاختلاف في الأنساق حيث يعد«النسق الظاهر هو قرين النسق المضمر ونقيضه في آن، فهو يلازمه ولا ينفك عنه، ويختلف عنه ويناقضه؛ فالنسق الظاهر يعلن عنه ويتجلى في سطح النص وفي معانيه وأبنيته، في حين يعمل النسق المضمر على الاختفاء والتواري والانزواء في أعماق النص وفي بنيته العميقة، بل ربما في بنيته الصامته والخفية وفي المسكوت عنه في النص»[1]؛ حيث يحمل النص أوجهاً متعددة ومتعاكسة من الأنساق، تتحدد العلاقة بينها في جعل النص كتلة واحدة.

من هذا المنطلق يجدر بنا المقام أن نقف أولا عند مفهوم النسق لغة واصطلاحًا.

1-مفهوم النسق:

1-1-لغة:

يعرف ابن منظور النسق في قوله:« النَّسَقُ من كل شيء: ما كان على طريقة نظامٍ واحد، عام في الأشياء. وقد نسَّقْتُه تَنْسيقًا؛ ويخفف. ابن سيدة: نَسَقَ الشيء يَنْسُقُه نَسْقًا ونَسَّقَه نَظَّمه على السواء، وانْتَسَقَ هو وتَنَاسَق، والاسم النَّسَقُ، وقد انْتَسَقت هذه الأشياء بعضُها إلى بعض أي تَنسَّقَتْ» [2].

وجاء في القاموس المحيط أن كلمة نسق تحمل معنى « نَسَق الكلام : عَطَفَ بعضه على بعض والنسَقُ، محرَّكه: ما جاء من الكلام على نِظام واحدٍ، ومن الثُغورِ: المُستَوِيَةُ، ومن الخَرَزِ: المنظمُ، وكواكب الجوْزاء، أو هي بضمتينِ. ومن كُل شيء: ما كان على طريقة نظام عام. والنسقانِ:كوكَبَانِ يَبْتَدِئَان من قُرب الفَكْة، أحدهما يَمان والآخر شآم. وأنْسَقَ: تَكلَّمَ سَجَعَا، والتنسيق: التنظيم. وناسق بينهما: تابع. وتناسقت الأشياء، وانتسقت وتنسقت بعضها إلى بعض: بمعنى.» [3].

وبالنظر إلى المعاجم العربية يتضح أن النسق يحمل معنى التنظيم والترتيب وكل ما هو في حالة انسجام.

2-1- اصطلاحًا :

إن مفهوم النسق زئبقي بحيث يتحدد وفق المجال الذي يندرج فيه، والنسق عند فوكو هو « علاقات تستمر وتتحول، بمعزل عن الأشياء التي تربط بينها» [4]، ويقوم النسق على« بلورة منطق التفكير الأدبي في النص كما يعمل على تحديد الأبعاد والخلفيات التي تعتمدها الرُّؤية»[5]: حيث يعد النسق مجموعة من العلاقات المنتظمة في النص والتي تشكل بدورها وحدة كلية .

2- النسق والحقول المعرفية المختلفة:

ترجع كلمة نسق إلى الأصل اليوناني، فقد « تبنت المعاجم والموسوعات الفلسفية الروسية لفظة نسق اليونانية system، وعرّفت الموسوعة الفلسفية الروسية النسق بأنه لفظة يونانية تعني" الكل المركب من الأجزاء»[6].

ويتحدد معنى النسق في الفلسفة انطلاقًا من الرؤية الذاتية للفيلسوف وتصوره للعالم ؛ وهذا ما جاء في الموسوعة الفلسفية العربية التي ترى أن « كلمة نسق- أو بالأحرى كلمة مذهب- معنى في الفلسفة مختلف عنه في الرياضيات البحتة والمنطق والعلم الطبيعي، إذ تشير في الفلسفة إلى هدف الفيلسوف من عمله وهو إقامة مذهب فلسفي. والمذهب الفلسفي"وجهة نظر" أو رؤية جديدة للعالم، يفسر بها الفيلسوف ما يلحّ علينا من تساؤلات واهتمامات وما يجري أمامنا من حوادث ووقائع وموقف الإنسان منها»[7].

لأن المعرفة الفلسفية تنبني على « التفكير الحر(...) ويقوم النسق الفلسفي على فروض أو مسلمات عقلية يعمل العقل الفلسفي على تسويغها وإثباتها داخل النسق، وهي مسلمات ذاتية فردية خاصة بالفيلسوف وقابلة للدحض»[8].

وقد استخدم مفهوم البناء الاجتماعي في مقابل النسق في الأنثربولوجيا وعلم الاجتماع للإشارة إلى « ملامح التنظيم الاجتماعي بما يشتمل عليه من نظم اجتماعية وأدوار ومكانات من شأنها أن تضمن استمرار أنماط السلوك الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية عبر الزمن»[9]، لتتحدد علاقة النسق بعلم الاجتماع، انطلاقا من العناصر المتفق عليها في البيئة الاجتماعية الواحدة.

ونجد في الدراسات اللغوية أن « تعريف النسق بسيط ومراوغ في نفس الوقت»[10]، فهو « مجموعة من الجمل، يتكون من عناصر وحدات لغوية صغرى، قد تكون أصواتًا أو كلمات، تكتسب معناها وأهميتها من علاقاتها النسقية أو داخل ذلك النسق»[11]، وقام ليفي شتراوس بنقل النسق إلى المحيط الثقافي في دراسته الموسومة بالأنثروبولوجيا البنيوية عام 1957 « قائلاً بوجود نظام كلي أو

عالمي سابق على الأنساق أو الأنظمة الفردية للنصوص،"فظاهرة اللغة والثقافة ذات طبيعة واحدة"»[12].

حيث إنه أرجع النسق إلى الحقل الثقافي انطلاقًا من نظام البنية اللغوية المتشكلة في النص، فاللغة تعد «مركز استقطاب لفكرة ثقافية، وأداة توسّل داخل الخطابات، وبواسطتها تُمرّر الثقافة أنساقها إلى المتلقي، ليعاد إنتاجها مرة أخرى، ومن ثمّ تكتسب المصداقية والاستمرارية، وتكتسب الفكرة الثقافية قيمتها داخل العلامة اللسانية، لكونها تحمل بُعدًا تواصليًا، يضمن لها استمراريتها داخل الخطابات، وإذا كان التواصل الفنّي يتحقق عن طريق التلقي الجمالي، فالتواصل الثقافي يتحقق عن طريق التلقي الثقافي»[13]. فاللغة هي مادة أساسية لتكريس الثقافية عبر النصوص الإبداعية.

والنسق الثقافي نجده « يتشكل ضمن منظومة الأنساق المختلفة، النفسية والسياسية...الخ، التي تميز وظيفة كل نسق في سياق مجاله الخاص، والنسق الثقافي يقوم حول ما هو ثقافي أو غير ثقافي، فهو لا يختلف عن النسق الاجتماعي أو النسق الاقتصادي»[14]؛ لأن النسق الثقافي يتشكل من مجموع الأنساق الأخرى .

3- النسق الثقافي بين المضمر والظاهر:

يقوم النقد الثقافي على الأنساق المضمرة المتجذرة في النصوص، حيث « يأتي مفهوم(النسق المضمر) في النقد الثقافي بوصفه مفهومًا مركزيًا، والمقصود هنا أن الثقافة تملك أنساقها الخاصة التي هي أنساق مهيمنة ونتوسل لهذه الهيمنة عبر التخفي وراء أقنعة سميكة، وأهم هذه الأقنعة وأخطرها هو قناع الجمالية أي الخطاب البلاغي الجمالي»[15]. فالمهيمن في النص يتمركز في الأنساق المضمرة التي تختبئ وراء الأنساق الأخرى الظاهرة؛ لأن النسق المضمر« هو كل دلالة نسقية مختبئة تحت غطاء الجمالي ومتوسلة بهذا الغطاء لتغرس ماهو غير جمالي في الثقافة»[16] . والظاهر في النص يتبدى بصورته الجمالية للمتلقي على عكس ما تختزنه نواياه الداخلية من تجسيد الثقافات المضمرة والمتنوعة .

والنصوص الحديثة حملت في مضامينها ثقافات مختلفة، ولاستجلاء معانيها لم يعد الاشتغال على النسق اللغوي فقط، ولكن تعدى ذلك للنظر في انتمائها إلى أنساق تختفي وراء اللغة وجمالياتها وكان النقد الثقافي « نقطة تحول لبيانات ما بعد الحداثة التي فككت المركزيات، وألغت الأحاديات، فهي بانتقالها من سلطة النص إلى سلطة الثقافة قامت بعملية تحطيم لمركزية النص وإلغاء للمعنى الجمالي والفني على حساب المعنى الثقافي»[17]. حيث يسعى النقد الثقافي للبحث عن الأنساق المضمرة التي يوليها الاهتمام الأول بالنظر إلى النسق المعلن.

ولذلك نجد أن « النسق الظاهر لا يولى من الاهتمام سوى بقدر ما يُعدّ وسيلة للكشف عن المضمر المتَواري خلفه، وبقدر ما يحويه هنا أو هناك من إلماح أو إيحاء للنسق المضمر الكامن المخالف للظاهر فالنقد الثقافي يعنى عناية كبيرة بالنسق المضمر»[18]، لأن النسق المستتر أو المضمر هو موضوع النقد الثقافي وأساس الاشتغال عليه، فالنسق المضمر هو مجموعة الأنساق الثقافية المتوارية خلف النصوص الأدبية.

«إن النسق الثقافي خطر، وخطورته في كونه مضمرًا وكامنًا حيث يمارس تأثيره دون رقيب(...) ويتوسل بالعمى الثقافي لضمان ديمومته ومفعوليته»[19]، فالنسق الثقافي لا يمكن أن يثبت وجوده إلا بإضمار الثقافة التي ينتمي إليها.

كما أن النقد الثقافي يقوم على « استخراج الأنساق المضمرة التي تشكل النصوص، فالنسق المضمر هو النسق الذي يحتال على الأنساق الظاهرة، ويتخفى في أعماق النص، ولا يمكن الكشف عنه إلا بعد التعرف على البنى التاريخية والثقافية للمجتمع»[20]، ومن ثمة فإن النسق المضمر يتشكل وجوده من الثقافات الراسخة في المجتمع، والبحث عنها في الجانب اللغوي؛ لأن « النسق هنا دلالة مضمرة فإن هذه الدلالة ليست مصنوعة من المؤلف، ولكنها منكتبة ومنغرسة في الخطاب، مؤلفتها الثقافة، ومستهلكوها جماهير اللغة من كتاب وقراء، يتساوى في ذلك الصغير مع الكبير والنساء مع الرجال والمهمش مع المسوّد»[21]، فالمكون الثقافي للأنساق المضمرة هو الجانب الجوهري وبذلك يستقطب جمهورًا واسعًا من القراء والدارسين.

والمهيمن في النص والمتشكل في الدلالة النسقية التي « تكون هي الأصل النظري للكشف والتأويل، مع التسليم بوجود الدلالات الأخرى، الصريح منها والضمني والتسليم بالقيمة الفنية وغيرها من القيم النصوصية التي لا تلغيها الدلالة النسقية، وليست بديلاً عنها، بل إننا نقول إن هذه الدلالات وما يتلبسها من قيم جمالية تلعب أدوارًا خطيرة من حيث هي أقنعة تختبئ من تحتها الأنساق وتتوسل بها»[22]، ولذلك فإن البحث عن النسق المضمر يتطلب إجراءات مساعدة لكشفه، ويمثل « (الجبروت الرمزي) ذي طبيعة مجازية كلية/جماعية (وليست فردية كما هو المجاز البلاغي)، أي أنه تورية ثقافية تشكل الضمير الجمعي، ويقوم(الجبروت الرمزي بدور المحرك الفاعل في الذهن الثقافي للأمة، وهو المكون الخفي لذائقتها ولأنماط تفكيرها وصياغة أنساقها المهيمنة »[23]، فهيمنة النسق المضمر تتخفى وراء اللغة الرمزية المشبعة بالخلفيات الثقافية.

وسنحاول في هذه الدراسة إلى رصد الأنساق المضمرة الكامنة في المجموعة الشعرية للأخضر بركة ،والكشف عن تجليات هذه الأنساق في الثقافة من خلال العنوان، إلى جانب امتدادها في متن النص الشعري.

4- الأنساق المضمرة في المجموعة الشعرية:

4-1- مضمرات العنوان:

يضمر العنوان أنساقًا متعددةً تتفشى في متن النص ممَّا يجعله يولد أنساقًا متتالية، فلا تقل أهمية دراسة العنوان عن النص « فالعنوان على أهميّته أصبح علمًا مستقلا له أصوله وقواعده التي يقوم عليها، فهو يوازي إلى حدٍ بعيد النّص الذي يسمه، لهذا فإن أي قراءة استكشافية [لأي فضاء] لابدّ أن تنطلق من العنوان، كما أنه لم يعد زائدة لغوية يمكن استئصالها من جسد النّص»[24].

وفي المجموعة الشعرية للأخضر بركة تتضمن العناوين الرئيسية والفرعية على أنساق مضمرة،كما نرى في عنوان "**إحداثيات الصمت (سنة 1987-1999)**". فالإحداثيات هي بمثابة نقطة مركزية ومحط أنظار العالم على الأوضاع المتأزمة، التي تصور بداية الأزمة الأمنية في الجزائر عام **1987**، ثم أعقبتها الأحداث الدموية عام **1991**، والتي أتت على الأخضر واليابس، ويضمر الصمت نسقًا يحيل إلى الواقع الذي قيدت فيه الحريات بمختلف أشكالها ومن بينها حرية التعبير ما يعكس شدة تأزم الأوضاع، حيث عاش المجتمع الجزائري سنوات متتالية من الصراعات في تلك الفترة **"فلا تعليق"** هنا يقول الشاعر، وتعلن فترة **1999** عن بداية المصالحة الوطنية ومحاولة لفك قيود الأزمة.

كما جاءت العناوين الفرعية للمجموعة الشعرية، متسلسلة لأحداث سنوات الأزمة في الجزائر، ويتفرع عن العنوان الرئيس "**إحداثيات الصمت**" عناوين فرعية كعنوان "**حكمة الضبّ**" التي جسدت المثل العربي القديم الذي يضرب به المثل عن حالة الصمت أثناء احتدام الصراع فـ« يحل الحيواني مكان الإنساني، ويضحي الفعل الإنساني أثرًا جامدًا يدّل على حالة الشلل التام لفاعلية الإنسان»[25]، حيث يخيم الصمت مجددًا على فكر الإنسان ويبقى عاجزًا أمام الأوضاع الصعبة .

أما عنوان **"محاريث الكناية"** في المجموعة الشعرية فإنه يعطي إشارة أولية بوجود المضمر الذي تستتر عليه الكناية، التي تدل لغة على الخفاء فيقف « أمام مرآة تحبل بالاحتمالات، ويبشر متلقيه بعالم يحرث فيه الشاعر تربة الخفاء طلبا للمعنى الجديد، وبحثا عن حقيقة الكائن التي تتعدد وتختلف، وتتلون على سلّم الأخلاق والقيم من أعلاه إلى أسفله، فالشاعر، وإن عرض لنماذج بشرية كثيرة، إلا أنه ركز على منظومة القيم التي تحكم العلاقة بين الناس، وجاوز هذا إلى التعبير عن القيم الأكثر بقاء في الإنسان»[26].

كما يحمل النسق الشعري أفكارًا أنتجتها الثقافة الجماعية التي يعبر عنها الشاعر بلغته الخاصة «فالأفكار الثقافية تتحول بفعل المبدع، إلى كلمات، وجمل، وعبارات داخل خطاب، وتكون مادة للتحليل والتفسير والتأويل»[27]، ويشكل عنوان **"الدغل"** في المجموعة الشعرية « مفارقة ساخرة جدًا متعلقة دائمًا بمفارقة الموقف ولكنها في الآن نفسه تعبر عن وضع متأزم»[28]، فيجسد الشاعر تعقيد الأوضاع بشكل كبير في الفترة السوداوية التي عاشها المجتمع الجزائري .

و يحمل عنوان **"كيمياء الصلصال"** في ثناياه دلالات مضمرة توحي بتجبر الإنسان في الأرض التي هي مقره الأول والأخير، فتشكل من هذا الطين إنسان آخر أصبح عبدًا لماديات الحياة .

ويعكس عنوان **"مقامات الجسد"** حقيقة الوضع الاجتماعي المأساوي الذي لحق ببعض المجتمعات العربية نتيجة الخلافات التي أنتجت صراعات مدَّت جذورها إلى جسد الأمة العربية عامة.

2-4- مضمرات أسماء الأماكن:

إن النسق المضمر في الشعر مغاير على ما يحمله النثر من أنساق ثقافية مضمرة؛ لأنه « لو تمعنا في(ديوان العرب) بناء على مفهومنا حول الأنساق المضمرة لوجدنا أن الشعر كان هو المخزون الخطر لهذه الأنساق وهو الجرثومة المستترة بالجماليات»[29]، فلغة الشعر تتميز بالغموض الذي تختزن فيه المعاني التي يرسلها الشاعر إلى متلقيه بإبهام، متعمدًا لطرح قضاياه بكل حرية.

يعزز المكان في النص الشعري على الانتماء الفكري والحضاري ويجسد بدوره دلالات نسقية لها أبعاد ثقافية على المستوى الفردي والجماعي« فالمكان جوهر النص، وهو الصورة قبل أن يكون نصًا ويكون اللجوء إليه لتقوية النص، سواء أكان مكانا غريبًا أو أليفًا، مكانًا للسلم والأمان، أم مكانًا للحرب والدمار... وقد يتحول إلى ذاكرة جماعية، أو ذاكرة فردية أو إلى صورة رمزية(...) والصورة الرمزية إذن لا قيمة لها إذا لم ترتبط بالحالة الشعورية للشاعر، وبتجربته الذاتية التي تكشف المستور والمكنون شعريًا »[30]، ويمثل المكان في شعر الأخضر بركة نسقًا ذا أبعاد دلالية تختبئ وراء اللغة وجمالياتها، فقد جاء في قصيدة نساء:[31]

يجئن صباحًا إلى المقبرة

يلتحفن البياضَ

وخيط الشُّعاع الصغير

يُكسّرنَ ماء الندى

بأقدامهنَّ.. على عُشْبٍ نائمٍ

ينحدرنَ من الذاكره

فالمقبرة نسق مكاني مضمر يدفن من خلاله الشاعر ذاكرة الألم التي تخبط فيها المجتمع الجزائري جراء الأزمات المتوالية أثناء العشرية السوداء، فكانت المقبرة دلالة نسقية على الواقع السلبي المتكرر بكل محمولاته الأليمة.

ويحضر مكان المقبرة مجددًا في قول الشاعر:[32]

المقبرة

الآن تمسح المرآة من صدإٍ سيغزو ماءَ عينينِ اثنتينِ،

خصيلةُ في المشْطِ

منديلٌ يغطي دمعتينِ، اليأس غازٌ في دماغ الحلم،

سوف نشمّ ثرثرة تُسمّي... ما ينزُّ من الظلام هدىً لمكّة

وفي مكان المقبرة دومًا تتمركز خلفية الحزن الذي يأسر الواقع المتأزم للوطن العربي عامة، وما يعكسه من صيحات وويلات يعيشها الفرد والمجتمع، فالمقبرة وظلمتها هي ظلمة الإنسان وسط الواقع المصحوب بالصراعات والنزاعات، وكل هذا الظلام يتوارى خلف البناء اللغوي في النص .

وتحمل الأمكنة في شعر الأخضر بركة مدلولات نسقية مضمرة تكمن خلف اللغوي والجمالي في النص، والتي تعبر عن حقيقة يعيشها الإنسان عبر مراحل مختلفة من الزمن، ويحمل مكان (البيت) في المجموعة الشعرية معنى الوطن الذي انتهك من قبل المستبد الذي لا يراعي حرمته:[33]

من دون إذنٍ يسكنون البيتَ

صرصارُ الخزانة، كومةُ الصمْت الخبيثِ، خريفُ عشْبٍ

فوق رفّ اللوْح في الشبّاكِ، شرذمةُ الدُّخَانِ، أوِ الرمادُ

على شفيرِ الليلِ، أو رملُ المكانِ، جلستَ أعمى كي ترى

ما لست تعرفُ، أيُّ شيءٍ يستحقُّ بأن يسمّى...

دون حبرٍ

فالبيت هنا يحتوي على مضمر دلالي، يصور من خلاله الشاعر شدة الظلم والطغيان والاستبداد وانتشاره في كل مكان، حتى غاب العدل، وأصبح كل شيء في عتمة الظلام لا يبصر الإنسان فيها

الحقائق، فتحولت سكينة الليل إلى ضجيج متواصل لكل أشكال الدمار، ليصف بذلك الخراب الذي خلفته هذه الصراعات.

حيث تتضح من خلال هذه الأبيات حالة الإنسان اليوم المرهونة باستلاب الطمأنينة والحرية، ولذلك اتخذ الشاعر من المكان وسيلة للغوص في معالم الأوضاع الحالية « فإما أن يرضخ الشاعر لسطوة النسق المكاني وإما أن يبحث عن وسائل ناجعة تخرجه من دائرية الانغلاق وسلطة المكان»[34]، حيث وجد في النسق المكاني تصويرًا للواقع المعيش بكل تفاصيله .

كما أن الوضع المجسد في المجموعة الشعرية يمثل « مكان آني المشهد ورامز أيضًا للتهدم الحضاري والتحول من عالم الحياة إلى عالم الموت»[35]، فالمكان قد يكون صورة تبعث على تجديد الحياة أو العكس.

وتجسد قصيدة **(مقهى)** مكان آخر يعكس ثقافة جماهيرية والتي تختزن على مضمرات نسقية عميقة، أراد الشاعر على إثرها أن يشير إلى الصورة الدموية التي تنقلها وسائل الإعلام، والتي تبعث على استمرار المأساة في مناطق معينة من البلدان فأصبحت هذه الواقعة المؤلمة مألوفة لدى المتلقي :[36]

تلك مقهى/ جلسوا

طاولةٌ منخورة الجسم/ الكؤوسُ

وحدها/ ربوة التّبغِ/ الكراسي

حاولها دارت على حزْنِ النواة.

فتحوا دُرْجَ الكلامِ

قلّبوا رمل الصحيفة

(...)

ضبطوا ساعاتهم وانصرفوا

يختبئ وراء هذه الأبيات نسق مضمر يتمثل في مكان المقهى التي تمثل في حقيقتها ملاذًا للإنسان، وابتعاده عن أشكال الضغوطات المختلفة، بينما المقهى في المجموعة الشعرية تعكس صورة الإنسان الذي يعيش ضغوطات متتالية فتبدو الحياة أشبه بدائرة لا تتغير من حولها الأشياء، فالواقع المأساوي يبدو كالطاولة المنخورة الجسم من كثرة الأزمات المتراكمة، وهذه الأشياء الجامدة من حولها تضمر على

جمود الإنسان، وعدم سعيه لإيجاد واقع أفضل فتبدو صورة المقهى غير مريحة، بل تبعث على الاشمئزاز والنفور تمامًا كالإنسان الذي يعيش أزمات مختلفة، فهو يعاني من اغتراب الذات .

يعانق الشاعر المكان بنظرة أخرى مليئة بالتذمر من الأوضاع المعيشة في ظل هذه التطورات التكنولوجية، التي تزيد من عجز الإنسان في تحقيق الحرية والاستقرار ، حيث ينفر الإنسان من هذه الحياة التي تقيده، ويلجأ الشاعر من خلال قصيدته (**قهوة مع صديقي.... الضجر**) إلى واقع آخر في اغتراب ذاتي لعله يصحو على واقع أفضل، فيقول:[37]

أستنفر الكلماتِ..

أحشدها أمامي في العبور إلى البياض الفظّ.

يهزمني الوضوحُ

(...)

ضجرٌ برابطُ، يهدر الأيّامَ، من مقهىً إلى مقهىً، يروحُ/

الأصدقاء ينكّتون..

ويحتسون الشايَ ساعاتٍ وينصرفون،

يكتظّ الغيابُ بنكهة الأتباغِ،

(...)

سأختار الفراغَ..

مُغسَّلا جسدي بماء الحيرة البيضاءِ أذهبُ،

ليس تتبعني شروط الشيء،

3-4- مضمرات أسماء الشخصيات:

جسد الشاعر بعض الشخصيات التي تتصف بالمكر والحيلة منها شخصية "ماكبث" [38]، والتي تفضح في المجموعة الشعرية عن نسق مضمر يتمثل في غدر الإنسان لأخيه الإنسان وإباحة الدماء في سبيل المصلحة الشخصية، وحب السلطة.

يكفي قليلٌ من الدّم في كفّ "ماكبث"،

قليلٌ من الشك يلمع في عتمات اليقين

قليلٌ من الطّين في حكمة النّارِ.

4-4- مضمرات المتعلقات الثقافية:

نجد في المجموعة الشعرية متعلقات ثقافية وظفها الشاعر من أجل الدلالة على خلفيات اجتماعية وسياسية، فتوظيف الطبل الذي يقرع الأسماع لقوة صوته، يجسد هنا صورة الخوف والصمت الذي يعيشه المجتمع في ظل الخلافات المسيطرة على الأوضاع الأمنية، والطبل كما هو معلوم في البنية الثقافية الجماهيرية آلة توظف عادة في المناسبات السارة، ولكن في هذه الأبيات يظهر عكس ذلك، فهو إنذار بتعدد الأحزان؛ فوقائع الأزمة تنتشر أثارها في الوقت الراهن في المجتمعات العربية، ولا أحد يبالي لضحايا هذه الأزمات، فيقول الشاعر:[39]

ذلك الطبلُ المدّوي في خلّو يتعاوى

له أن تزْدَرِدَ الصمت المحنّى بالدّم اليابس في قمصانِ

أمسٍ عالقٍ فوق حرابٍ كسَّرتها الريحُ،

شنّفْ أُذُنَ الفقر بخيراتِ الصدى، يا طبلُ، واهززْ بطْنَكَ

الملأى بأفراخ المهاوي،

ويتخذ الشاعر من المتعلقات الثقافية نماذج مختلفة للتعبير عن رؤاه الفكرية التي يطرحها للمتلقي بصورتها المضادة ومن ذلك ما يتمثل في قربة الماء، يقول الشاعر:[40]

قربة الماء المريض

جالسًا

في قاعةِ الأمراضِ مُلتفًّا على الروح القليلةِ أرقبُ الدنيا

من الفتحات في ثوب النهارِ المرتخي فوق الهزال.

فالقربة في الثقافة الشعبية العربية هي لحفظ الماء الصالح الذي يعد المصدر الأول للحياة، وفي هذه الأبيات أصبحت الحياة لا قيمة لها لأن المصدر في الحفاظ عليها - الرابطة الأخوية - هو نفسه ملطخ بزوال القيم الإنسانية .

خاتمة:

قام الشاعر بتصوير الواقع الجزائري بصفة خاصة والواقع العربي عامة في ظل الأزمات المتكررة، التي جرت وراءها خيبات متعددة، راح ضحيتها الطبقة الهشة من المجتمع، ولقد استطاع الشاعر أن ينقل للمتلقي هذا الواقع الأليم بكل تفاصيله عبر الأنساق الثقافية المضمرة، والتي تجسدت في العناوين التي تمثل سلطة النص، وتعكس بدورها أنساقًا ولدت من رحم الثقافة ومتطلباتها الاجتماعية، والسياسية والاقتصادية، كما كان المكان نسقًا دالا على صورة الإنسان المنهزمة، وتضخم الأزمات المختلفة، وشكلت المتعلقات الثقافية بدورها مفارقة شعرية تحولت من خلالها الثقافة الجماهيرية من صورتها الايجابية إلى صورة سلبية تعكس الأحداث الملموسة.

الهوامش:

(1) نعيمة بولكعيبات، النسق المضمر في نوادر جحا، مجلة النقد الأدبي، فصول- فصلية محكمة، النقد الثقافي.. إلى أين؟، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ربيع 2017، المجلد، 3/25، العدد 99، ص 433.

(2) ابن منظور(أبو الفضل جمال الدين ابن مكرم الافريقي المصري): لسان العرب، مادة(سلب)، دار صادر، بيروت، دن، دط، مج 10، ص 352، 353.

(3) الفيروز أبادي(مجد الدين بن يعقوب)، القاموس المحيط، تح : محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2005، ط 8، ص 925.

(4) سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت- لبنان-، 1985، ط1، ص 211.

(5) المرجع نفسه، ص 211.

(6) سليمان أحمد الضاهر، مفهوم النسق في الفلسفة(النسق: الإشكالات والخصائص)، مجلة جامعة دمشق، 2014، المجلد 30، العدد 3+4، ص 370.

(7) الموسوعة الفلسفية العربية، معهد الإنماء العربي، مج1، 1986، ط1، ص 813.

(8) سليمان أحمد الظاهر، مفهوم النسق في الفلسفة، ص 372.

(9) نادر كاظم، تمثيلات الآخر- صورة السود في المتخيل العربي الوسيط-، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 2004، ط1، ص93.

(10) عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة- من البنيوية إلى التفكيك-، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978، العدد 232، ص 193.

(11) المرجع نفسه، ص 195.

(12) ضياء الكعبي، السرد العربي القديم- الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل، ص 21.

(13) عبد الفتاح أحمد يوسف، لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2004، ط1، ص 22.

(14) نعيمة بولكعيبات، النسق المضمر في نوادر جحا، ص 432.

[15]سميرالخليل، تعليق وترجمة سمير الشيخ، دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، - إضاءة توثيقية للمفاهيم الثقافية المتداولة-، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1971، ص 293.

[16]عبد الله محمد الغذمي، عبد النبي اصطيف، نقد ثقافي أم نقد أدبي؟، - حوارات لقرن جديد-، دارالفكر، دمشق، 2004، ط1، ص 33.

[17]نعيمة بولكعيبات، النسق المضمر في نوادر جحا، ص 430.

[18]عبد الله حبيب التميمي، سحر كاظم حمزة الشجيري، دونية المرأة في المجتمع الجاهلي وفوقيتها في الشعر، كلية التربية جامعة القادسية، جامعة بابل، العلوم الانسانية، 2014، المجلد22، العدد2، ، ص 317.

[19]نادر كاظم، تمثيلات الآخر- صورة السود في المتخيل العربي الوسيط-، ص 10-11.

[20]نعيمة بولكعيبات، النسق المضمر في نوادر جحا، ص 433.

[21]عبد الله الغذامي، النقد الثقافي- قراءة في الأنساق الثقافية العربية-، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 2005، ط3، ص 79.

[22]المرجع نفسه، ص 78.

[23]المرجع نفسه، ص 80.

[24]عبد القادر رحيم، علم العنونة- دراسة تطبيقية-، دار التكوين للتأليف والترجمة، دمشق. سوريا، 2010، ط1، ص 47.

[25]يوسف عليمات، جماليات التحليل الثقافي- الشعر الجاهلي نموذجًا-، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، 2004، ط1، ص 305.

[26]محمد الأمين سعيدي، شعرية المفارقة والتجريب"محاريث الكناية" للأخضر بركة أنموذجا. www.djazairnews.info

[27]عبد الفتاح أحمد يوسف، لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2004، ط1، ص 162.

[28] محمد الأمين سعيدي، المرجع السابق.

[29]عبد الله الغذامي، النقد الثقافي، ص 87.

[30]محمد الصالح خرفي، جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر، أطروحة دكتوراه، إشراف يحي الشريف صالح، جامعة قسنطينة، 2005-2006، ص 346.

[31]الأخضر بركة، الأعمال الشعرية، دار ميم للنشر، الجزائر، 2013، ط1، ص 36.

[32]الأعمال الشعرية، ص 18.

[33]الأعمال الشعرية، ص 16.

[34]يوسف عليمات، جماليات التحليل الثقافي- الشعر الجاهلي نموذجًا-، ص 136.

[35]المرجع نفسه، ص 135.

[36]الأعمال الشعرية، ص 26.

(37) الأعمال الشعرية، ص 173.

(38) الأعمال الشعرية، ص 12.

(39) الأعمال الشعرية، ص 77.

(40) الأعمال الشعرية، ص 84.